آثار ابن عقيل

(شكوى الزمان)

ذكرنا في عدد سابق اننا روينا في الأحاديث والآثار المسلسلة ان عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها كانت تنشد قول لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وتقول « رحم الله لبيداً فكيف لو رأى زماننا هذا » ويتلو هذا البيت بيتاً آخر روى انها كانت تنشده أيضاً وهو

يتأكلون خيانة ومشحة ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

ويروى ان اعرابيا قال لابن عباس (رض) اني سمعت عائشة تذم دهرها وهي تتمثل ببيتي لبيد فقال ابن عباس لئن ذمت عائشة دهرها لقد ذمت عاد دهرها قيل وجد في خزائن عادسهم مفوق كالطول ما يكون من رماحنا واذا عليه مكتوب

أليس الي اجيادصبح بذي اللوى لوى الرمل فاعذر للنفوس معاد

بلاد بهـا كنا وكنا نحبها اذ الناس ناس والبلاد بلاد

وعن ابن أحمر قال كنا عند أبي نعيم فذكروا قول لبيد فقال أبو نعيم

ذهب الناس واستقلوا فصرنا خلفا في أراذل النسناس

من أناس نعدهم من عديد فاذا كوشفوا فليسوا بناس

كلما جئت ابتغي النيل منهم بدؤني قبل السؤال بياس

وبكوا لي حتى تمنيت اني عند هذا خلصت راساً براس

(النسناس) بفتح النون وكسرها حيوان على شكل الانسان هكذا يذكر في معاجم اللغة والعامة تسمي به نوعاً من القردة فاذا كان يوجد حيوان أقرب الى الانسان من القرد وكان هو المسمى بالنسناس فلعله إذا اكتشف عليه حيا أو ميتا

متحجرا يكون هو الحلقة المفقودة التي يتوقع الظفر بها أهل مذهب النشوء ونحن معاشر المليين نقول ان الانسان خلق ابتداء على صورته هذه سواء وجدت تلك الحلقة أم لم توجد . روي ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ذهب الناس وبقي النساس . قيل وما النساس قال الذين يشبهون الناس وليسوا بالناس

وفي كتاب تفضيل الكلاب بعد ذكر بيتي لبيد قال أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد النحوي قال ذكر لي بعض المشايخ قال كنت عند بشر بن الحارث عشية فرأيته مغموما فما تكلم حتى غربت الشمس ثم رفع رأسه فقال

ذهب الرجال المقتدي بفعالهم والمكرمون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم بعضا ليدفع معور عن معور

وأنشدنا أيضا غيره

ذهب الذين إذا رأوني مقبلا سروا وقالوا مرحبا بالمقبل
وبقي الذين اذا رأوني مقبلا سيئوا وقالوا ليته لم يقبل

(وقال آخر)

ذهب الذين إذا غضبت تحملوا واذا جهلت عليهم لم يجهلوا
واذا أصبت غنيمة فرحوا بها واذا بخلت عليهم لم يبخلوا

قال وأنشدني أبو عبد الله الدستواني

ذهب الذين هم الغياث المنزل وبقي الذين هم العذاب المرسل
وتقطعت أرحام أهل زماننا وكأنما خلقت وليست توصل
الناس منتبهون من كشفته كشفت منه عن الذي لا يحمل
أما الفقير فحاسد متغطر حسدا وأما ذو الثراء فبخل
ويظن أن له بكثرة ماله فضلا عليك وغيره المتفضل

وأنشدني أبو يعقوب الأديب

ذهب الكرام فأصبحوا أمواتا ورقا تطير به الرياح رفاتا
وتبدلت عرصاتهم من بعدهم بسوى ثبات الصالحين ثباتا
وبقيت في خلف أحاذر شره وأخاف فيه من الصديق بياتا

(وقال آخر)

ذهب الناس وانقضت دولة النا س فكل الا القليل الكلاب
غير ان الوجوه في صور الا س وأبدانهم عليها الثياب
لست تلقى الا بخيلا كذوبا بين عينيه للايلس كتاب
إن من لم يكن على الناس ذئباً أكلته في ذا الزمان الذئاب

وقال الشاعر

ذهب الذين فضولهم معلومة ولهم اذا قحط الزمان جفان
ذهبوا فليس لهم نظير واحد اذ لا تراهم لا أبالك كانوا
لم يبق من أهل الفضائل والنهى الا فلان باسمه وفلان

وقال الشاعر

ذهب الذين عليهم وجدي وبقيت بعد فراقهم وحدي
سلف مضي وبقيت بعدهم وكذاك يذهب من بقي بعدي

هذا ما يقوله الشعراء في كل زمن سواء كان ما قبله شراً منه أو خيرا منه فلا يصح للمؤرخ ان يحتج بقولهم في تفضيل زمان على زمان لان الدليل مشترك الإلزام

***

﴿ أيها المسلم ﴾

ان كنت تترك الصوم لارتيابك في أصل الدين فمصيبتك أعظم المصائب ومرضك أقتل الامراض ويجب عليك بحكم العقل ان كنت تعقل ان تبحث قبل كل شيء عن علاج الكفر الذي كمن في قلبك بسبب الجهل . سل العلماء العقلاء عن الشبه التي عنت لك فاوقعتك في الريب ويسهل عليك ان تورد السؤال مورد البحث والاستفهام من غير تظاهر بأن الشبهة متمكنة من نفسك واذا كانت شبهتك جائية من الفنون الطبيعية فايك ان تسأل عنها من لا وقوف له على تلك الفنون فانه يزيدك مرضا ولا يصيب منك غرضا . واذا كان يصعب عليك قصد